

## البعد الدلالي للون الأسود في قصيدة "تاريخنا ليس سوى إشاعة!" "نزار قباني"

د. العبادي عبد الحق

جامعة بومرداس ( الجزائر )

### الملخص

هذا المقال هو استقراء حضور اللون الأسود في قصيدة "تاريخنا ليس سوى إشاعة!" لنزار قباني، ومحاولة تأصيل الدلالات اللونية التي استقى منها الشاعر معانيه، ولوحاته، وتوضيح الوظيفة الفنية للون في الشعر، وإعادة النظر في بعض المعاني، والصور التي يجلبها اللون، ويكشف غموضها.

ولعل "نزار قباني" بموهبته الشعرية، وثقافته العربية والأجنبية، واطلاعه الواسع على الثقافات القديمة والحديثة من أوائل الشعراء المعاصرين الذين اقتحموا باب الألوان بشكل غير عفوي، إذ كان للطبيعة أثرها الواضح في الثراء اللوني لدى "نزار قباني" شعرا وحياء، بل كانت ملهمة شعره؛ إذ غدا خطابه الشعري فنا من التصوير، أو فن الرسم بالكلمات، وأعطاه امتياز جمع المتخالفات، وتآلف المتناقضات، ولا يعني ذلك فناً إلا إبراز عنصر الجمال الذي يحقق واقعية الفن. وحضور اللون الأسود في هذه القصيدة ما هو إلا دعوة إلى التجديد، دعوة إلى التغيير، دعوة إلى التمرد ضد الظلم والقهر والاستبداد، دعوة لعد أفضل، دعوة لألوان الحياة والطيف، ودعوة لخلع لباس الحزن والأسى والحداد.

**الكلمات المفتاحية:** الأبعاد الدلالية للألوان، اللون الأسود، نزار قباني، التكرار، الوظيفة الفنية للون في الشعر.

### Résumé

Cet article est une extrapolation de la présence de la couleur noire dans un poème, « notre histoire est rien, mais une rumeur! » de "Nizar Qabbani", et un essai d'enracinement des connotations de couleur qui les attireraient poète sens, et ses peintures, et de préciser la fonction technique de la couleur des poème, et de reconsidérer certaines des significations et des images.

Peut-être "Nizar Qabbani" avec sa talent de la poésie, et sa culture arabe et étrangère, large et informer lui sur l'ancienne et moderne l'un des premiers poètes contemporains qui ont fait irruption dans la porte des couleurs est des cultures spontanées, comme cela a été la nature de l'impact est de couleur claire, riche en Nizar Qabbani, la poésie et la vie, mais était une poésie d'inspiration; demain son art poétique de la photographie ou l'art de peindre avec des mots, ne signifie pas que, techniquement, ne mettre en évidence la beauté qui réalise élément d'art réaliste.

Et la présence de la couleur noire dans ce poème est seulement un appel pour le renouvellement, un appel au changement, un appel à la révolte contre l'injustice, l'oppression et la tyrannie, un appel pour un avenir meilleur, un appel aux couleurs de la vie, et une invitation à enlever tous les vêtements douleur et de tristesse.

إن تعريف المفاهيم والمصطلحات من الأمور الحرجة والدقيقة، وبخاصة إذا تكلمنا عن مفهوم الألوان وأبعادها الدلالية؛ ذلك لما تحمله من مدلولات رمزية، وتعابير مجازية واستعارية، وأهداف جمالية، وأخلاقية، فلاستخدام الألوان دلالات بالغة الأهمية، ففي "القرآن الكريم" (01)، و"الحديث النبوي الشريف" مثلاً نجد ذكراً لأغلب الألوان المعروفة (02)، لما للألوان من أدوار متعددة الجوانب سواء في الأغراض الحسية أو المعنوية، ولما لها من تأثير على النفوس وما تحمله من دلالات، وصور، ووظائف فنية.

يعتبر اللون من أهم عناصر الجمال في حياتنا وفي العالم الذي يحيط بنا؛ إذ يدل لفظ اللون في اللغة على تغيير الهيئة والصورة، فهو لون البشرة الخارجي، والغطاء الذي يظهر للعيان للأجسام المختلفة في هذا الكون، والتلون يعني

تغير الصورة من شكل إلى آخر ومن حال إلى أخرى (03)، يقول الزبيدي: "اللون: ما فصل بين الشيء وغيره، والألوان يعبر بها عن الأجناس والأنواع، يقال: أتى بألوان من الحديث والطعام" (04).

يبدأ هذا اللفظ باللام التي تدل على دخول شيء في شيء آخر، مما يشير إلى تركيب اللون من عناصر عديدة في صورة واحدة، يظهر منها العنصر الذي يسود بنسبة أعلى من غيره في هذا التركيب المتداخل (05).

وألفاظ الألوان في اللغة العربية كثيرة بحيث نجد عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد وهي تختلف باختلاف درجة اللون، وهو ما عرف في المصادر القديمة باسم اشباع اللون أو تأكيده (06).

وقد اختلفت هذه الأسماء للون الواحد باختلاف الحقل الدلالي الذي يرد فيه (07)، ولعل الألوان الأساسية هي "الأسود"، و"الأبيض"، و"الأحمر"، و"الأخضر"، و"الأصفر"، و"الأزرق"، وذلك لكون هذه الألوان هي الألوان البؤرية في المعجم العربي (08) وبقيّة الألوان تنضوي تحتها، ذلك أنها ألوان لا تحتاج إلى مزج، أو دمج، أو تركيب.

ويأتي على رأس هذه الألوان "الأسود والأبيض"، وهما لونان متعاكسان؛ إذ يرتبطان بالليل والنهار، أو بالظلمة والنور، وهما لونان متداولان في جميع الحضارات، وفي كثير من المواضع يستخدم اللون الأبيض مقترنا مع اللون الأسود، لما لهذين اللونين من ارتباط شديد بين بعضهما؛ فاللون الأبيض يتميز عن سائر الألوان في وظيفته وطبيعته، ورمزه، ودلالته، فهناك شبكة من العلاقات التي تربط بين هذا اللون وسلوك الإنسان، وكثيراً ما نستخدم في حياتنا اليومية مثل "الأيادي البيضاء"، و"الوجه الأبيض"، و"الراية البيضاء"، أما اللون الأسود فهو ضد الأبيض، وضد الجمال، ولون التشاؤم، والغموض، والموت، والشر، والقبح، بالإضافة أنه لون للحزن، والخوف من المجهول.

يلي ذلك "اللون الأحمر" (09) وهو من أوضح الألوان لارتباطه بالدم (10)، ولكنه متعدد الدلالات على درجة التناقض أحيانا فهو مرتبط بألوان المسرة، والفرح أيضاً، يليه "الأخضر" وهو لون مستقر ثابت لارتباطه بالنبات والخصب، ولهذا اللون دلالة خاصة في الإسلام تجعله مميزاً عن باقي الألوان ومقدماً عليها؛ إذ هو من الألوان المحببة لأنه لون الجنة، ولون الحياة (11)، والقيامة، حيث ضرب الله مثل القيامة من اخضرار المزارع في الربيع بعد أن كانت كالموات، وقد وعد المسلمون المتقون بالجنة، حيث السندس والإستبرق الأخضر، والظلال الخضراء في كل أرجاء الجنة وجوانبها (12)، واللون الأخضر هو اللون المفضل عند النبي "صلى الله عليه وسلم".

ويليه "الأصفر" (13)، "فالأزرق" (14) وهما أقل الألوان شيوعاً في الموروث الإنساني لا سيما الجاهلي، وترجع أهميتهما إلى اقتران الأصفر بالشمس والأزرق بالسماء، فالأصفر قليل الاستعمال في الأدبيات وخاصة في الدين الإسلامي لأنه غير مستحب، فقد استخدم في وصف جهنم (15)، واقترب بالشمس، والذهب، والمرض، والغيرة، والذبول، وجفاف النبات، والزينة، والطيب، والهزيمة، والذل، أما "الأزرق" فله دلالات واسعة ومختلفة؛ إذ يرتبط بالماء والسماء للدلالة على الهدوء والبرودة، وارتبط في التراث بالطاعة، والولاء، والتأمل، والتفكير، وقد تشاءم العرب (16) من البسوس وهي زرقاء العينين، والزباء ملكة تدمر، وزرقاء اليمامة لهذه الصفة، كما تشاءموا من كل أزرق العينين (17).

وإذا نظرنا إلى هذه الألوان الرئيسية وجدنا أن الألفاظ التي استخدمت للتعبير عنها جاءت مناسبة لها، "فالأصفر" لفظ يدل على الغوص في الأعماق حيث الظلمة والعمتة، وقد استشف هذه الدلالة من حدة الدال واتساع الواو.

أما "الأبيض" فهو لفظ يدل على الإشعاع والانطلاق لما فيه من اجتماع الياء الدالة على الاتساع، والضاد بما فيها من نفور وإفلات من المركز، و"الأبيض" كما نلاحظ يقابل "الأسود" في الدلالة والتركيب الصوتي.

يمثلهما في هذا التقابل "الأخضر" و"الأصفر"؛ فالصفرة لون يدل على الذبول، والجفاف، لما فيه من خفة الفاء، وما تفيدته الراء من التكرار، مما جعله يبدو في لفظه كنبته هزيلة، جافة تطير مع حركة الريح، بينما يدل "الأخضر" على الخصب

والحياة، لما في الخاء من طرواة وامتلاء بالماء، ويساعد تكرار الراء على جريان الماء في العروق، مما يزيد في طراوته ونداوته.

أما "الأحمر" فهو لون التوهج والحرارة المستمدة من الحاء، ويدل "الأزرق" على العبور والنفاد إلى قرار معين، ومن خلال هذا نرى أن هناك علاقة تربط مسميات الألوان بأسمائها في محاكاة بين طبيعة الصوت، ودلالة اللفظ. وأياً كانت الدلالة التي يحملها اللفظ اللوني، ومهما نجح اللفظ في التعبير عن الألوان، فقد استقرت الألوان في وجدان الأمة على نحو خاص، وارتبطت بأمور عديدة في البيئة والحياة، مما ساهم في تشكيل تصور عام لهذه الألوان، وقد تعاقبت الأجيال على نقل هذه الدلالات بوعي، أو دون وعي منهم (18)، حتى أصبحت أشبه بدستور عام يتبعه البشر، "فالأحمر" يعني الدفء والخطر، و"الأخضر" يعني الخلود، و"الأصفر" يعني الذبول والمرض، و"الأبيض" للتسامح، والصفاء، والسلام، و"الأسود" للغموض، والموت، والخوف من المجهول، و"الأزرق" للهدوء، والتفكير، والتأمل، وما إلى ذلك من دلالات، ومع تقدم الأجيال ضعف الربط بين اللفظ ومدلوله اللوني، وبقيت الدلالات الاجتماعية والنفسية للألوان (19)، وهي من أبرز الأمور التي شغلت الناس في العصر الحديث، عصر الثورة اللونية وانتشار الألوان الصناعية.

زيادة على هذا يعد اللون المادة البصرية الأولى التي تتطوي عليها لوحة الفنان، ولكن هذا اللون يتحول إلى "دال" حين يوضع في سياق لغوي وبهذا يمتلك دلالة في إطار بناء الجملة الشعرية" (20)، وعليه فإن الاستعمال والتوظيف اللغوي للون في الخطاب الشعري يشكل بنية لغوية مهمة "ذلك أنه في حد ذاته لغة قادرة على حمل المدلولات الكافية لإيصال المعنى" (21).

فالألوان بهذا المفهوم تدخل في تركيب الصورة الشعرية، مما يجعلها جزءاً مهماً، ذلك أن الشاعر في "انتقائه الألوان التي يشكل بها صورته يسعى إلى استكشاف الصورة أولاً، ثم إثارة القارئ ثانياً، وعليه يكون الشعر بالنسبة للقارئ وسيلة لاستحضار الأشكال والألوان في نسق خاص تستمتع الحواس به" (22)، والشعراء في إبداعهم لصورهم يتجاوزون الواقع المتمثل في الطبيعة إلى نوع من التجربة وهو الرؤية الرمزية، واستخدام اللون كرمز في الصورة الشعرية يجعله "عضواً حياً في وحدة النص" (23)؛ فالألوان في القصيدة قد تحمل إشارات دلالية وسيميولوجية مما يحولها للرمزية؛ "فبعض الألوان تعطينا إحساسات غامضة، وعلى ذلك فلا يمكننا استخدامها منطقياً بل نضطر إلى توظيفها رمزياً" (24)، ومن هذا المنطلق لجأ الشعراء إلى توظيف الألوان في قصائدهم رمزياً، فمنهم من أحب "اللون الأزرق"، وبعضهم فضل "الأخضر"، أو "الأبيض"، أو "الأسود"، وبعضهم امتلأ شعره بكل الألوان.

ولعل "نزار قباني" بموهبته الشعرية، وثقافته العربية والأجنبية، وإطلاعه الواسع على الثقافات القديمة والحديثة من أوائل الشعراء المعاصرين الذين اقتحموا باب الألوان بشكل غير عفوي (25)؛ إذ كان للطبيعة أثرها الواضح في الثراء اللوني لدى "نزار قباني" شعراً وحياة، بل كانت ملهمة شعره؛ إذ غدا خطابه الشعري فناً من التصوير، أو فن الرسم بالكلمات، وأعطاه امتياز جمع المتخالفات، وتآلف المتعارفات، ولا يعني ذلك فناً إلا إبراز عنصر الجمال الذي يحقق واقعية الفن، ولهذا قال "كانط" "Emmanuel Kant": "الفن ليس تمثيلاً لشيء جميل، وإنما هو تمثيل جميل لشيء من الأشياء" (26)، ويقول "بركسون" "Henri Bergson": "الطبيعة مادة فنية رائعة أغنى وأخصب من أي إبداع فني" (27)، فالطبيعة بهذا المفهوم هي مصدر إلهام فطري للرسميين، والشعراء، والفنانين عامة، لما تعكسه من ألوان الطيف والحركات اللونية، واستخدام اللون في الخطاب الشعري خاضع للدلالات السياقية، والاجتماعية، والنفسية التي تصاحب الشاعر من حزن وفرح.

ينفتح الخطاب الشعري لدى "نزار قباني" على تعدد القراءات واختلاف الدلالات، وبخاصة إذا تعلق الأمر بالشعر السياسي، "فنزار" تصدى بجسارة فائقة لأداء رسالة تاريخية للتعبير عن المسكوت عنه" (28)، فالكون الشعري عنده

"يتألف من العالم مغمساً بالشعور ... لست تجد عنده مشاهد مقتطعه من العالم الخارجي، أو لوحات بعيدة عن الانفعال، أو لديه علاقة متصوغة بتسلسل تاريخي، لا مكان للموضوعية في الكون الشعري لديه، فإما أن يعرض للعالم من خلال عينيّه، وأصابعه، وسمعه، ومخيلته، وأشواقه، وإما أن يصمت عنه أبداً" (29)، يقول "نزار قباني" في قصيدته "تاريخنا

لَيْسَ سِوَى إِشَاعَةِ! (30):

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ ؟

وَكُونْنَا الْمَفْضَلُ السَّوَادَ .

نُفُوسَنَا سَوَادَ .

عُقُولُنَا سَوَادَ .

دَاخِلُنَا سَوَادَ .

حَتَّى الْبَيَاضُ عِنْدَنَا

يَمِيلُ لِلْسَّوَادِ ..

لعل استهلال "نزار قباني" هذه القصيدة بتساؤل يدعونا للوقوف على فلسفته الكلية وأسرار إبداعه الفني، كون أن لغة الشاعر هي المفتاح الأول لفكره وأسلوبه، ولأجل ذلك لا بد من قراءة أخرى لما سمّته البلاغة العربية بجملتي "الخبر والإنشاء"، فالجملة الخبرية في تأويلها الذهني هي جملة "ثبات وتأكيد"، و"رضى وقبول"، إنها بعبارة أخرى "بنية استقرار"، أما جملة الإنشاء فهي "جملة حركة وانتقال"، "جملة حوار واختلاف"، وعبارة أخرى إنها "بنية توتر"، والاستفهام بما هو سؤال يقع في مركز هذه البنية وبؤرتها، لذا فهو رؤية وكشف، وسبيل للاعتناء المعرفي، ولأن السؤال بنية مزدوجة "إرسال وتلق" في آن، فهو حالة جدلية وسيرورة من الحوار، لذا تصفه التحليلات الحديثة للبلاغة بأنه "بنية عميقة منتجة للدلالة" (31)، من حيث انتظار المتلقي لإجابة ما، وافتتاح أفق التوقع أيضاً.

ولأهمية الاستفهام بهذه الصفة فهو يتصدر تركيب الجملة، بل إنه يحيط بها، يلفها، ويحاصرهما، فأداته بداية الجملة وعلامته نهايتها، وهنا نصبح أمام معطيات جديدة للغة، وفلسفة مغايرة للدلالة، وكما يقول "موريس بلانشو" "Maurice Blanchot": "كأن الوجود عندما يضع نفسه موضع سؤال، يتخلى عن صخب انبثاقه، وحسم نفيه، ليكشف عن نفسه ويفتح، ويفتح الجملة على آفاق جديدة، بحيث تغدو الجملة بذلك الانفتاح فاقدة لمركزها الذاتي الذي يصبح خارجاً عنها مقيماً في المحايد" (32)، والمحايد هنا ليس بمعنى السلبي بطبيعة الحال، المحايد هو المختلف، هو المبتعد، وهو المغاير أبداً.

وإذا كان السؤال معرفة كاملة في جانب من جوانب تراثنا العربي، فإنه في الآن نفسه عطش وبحث دائم وهيام، لذلك يتساءل "نزار قباني" في بداية قصيدته عن "الفرح"، ويصف حال المجتمع العربي بعد النكسة بالسواد، إذ تكرر هذا اللون في هذا المقطع خمس مرات، و"نزار" في هذه القصيدة تعامل مع اللون الأسود بخصوصية، فهذا اللون في الفكر العربي يختلف عن بقية الألوان في الاصطلاح، فالسواد في هذا المقطع ليس لونا بل هو انعدام اللون (33).

ولعل هذا اللون في هذا المقطع "يرتبط بمعان عديدة يمكن تلخيصها بالموت والدمار من جهة، والشر والمهانة من جهة أخرى"، واستخدام "نزار" لهذا اللون لاقتترانه بالظلام، وارتباطه بعالم الأموات، وجلبه لمشاعر الخوف، والشر، فهو ضد الجمال، لهذا كان العرب يتشاءمون حتى من مجرد النطق بهذا اللون أو أحد مشتقاته (34)، فكانت عبارة "يوم أسود" كناية عن التشاؤم به وتوقع الشر" (35) وهذا ما قصده "نزار قباني" في هذا المقطع.

عمد "نزار قباني" في هذا المقطع إلى ظاهرة التكرار، كونها تقنية من تقنيات التعبير الأدبي، وظاهرة من الظواهر الأسلوبية؛ إذ أحدث تكرر "لون السواد" في هذا المقطع إيقاعاً موسيقياً داخل بنية الخطاب، كون هذا التكرار هو

تكرار في آخر السطر الشعري، فقد ترك أثراً دلالياً على الخطاب سواء كان في تأكيد المعنى وهو "حال المجتمع العربي ما بعد النكسة وما آل إليه"، أو تحقيق غاية يسعى "نزار قباني" إلى الوصول إليها وهي "تغيير هذه الحالة"، "قالأدب بلا شك يحمل رؤية دون قصد من الأديب، وإلا كان مجرد أفاظ" (36)، فتكرار "لون السواد" في هذا المقطع لا بد أن يكون له أثر على نفسية "نزار"، ففي هذه القصيدة، بل وفي هذا الديوان ككل "هوامش على الهوامش" (37) نظم نزار قصائده ليسجل من خلالها خواطره على أعقاب نكسة 1967 م (38) وهزيمة 1991 م (39)، اللذين كان لهما أثر كبير في نفسه أولاً كشاعر وثانياً كإنسان عربي أحس بالخيبة والمرارة، "فالكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة يستتبع بالضرورة بالكشف عن لغة جديدة" (40).

فتكرار "اللون الأسود" في هذا المقطع جعل منه النقطة المركزية التي تنبثق منها دلالة القصيدة، ولعل المتلقي يرصد هذه الدلالة بوضوح، والتكرار هنا لا يقوم فقط على مجرد تكرار "اللون الأسود" في السياق الشعري، وإنما ما يتركه البعد الدلالي لهذا اللون من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، فكل تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، "فنزار قباني" كرر "اللون الأسود" لغاية يقصدها في نفسه وليؤكد المعنى الدلالي في الخطاب، وهو الحسرة، والحزن، والخوف من المستقبل، والصمت، والانغلاق والحسم، والظلام، والخطيئة، وانقطاع الأمل، والموت، والمصائب، والحداد، والهزيمة، حتى صار اللون الأبيض عند "نزار" في هذا المقطع يميل إلى السواد.

ويعتبر استبدال "نزار" "اللون الأسود" بنقيضه "الأبيض" (41)، مظهراً من مظاهر الإبداع الشعري عنده، أراد من خلاله أن يحدث نوعاً من الانسجام بين أطراف الصورة المتشعبة، فعملية اتحاد اللونين المتناقضين يحيل القارئ إلى صفات لونية جديدة يستتبعها المتلقي من خلال القصيدة.

وما يؤكد هذا المعنى الدلالي في الخطاب هو المقطع الثاني للقصيدة الذي يقول فيه "نزار" (42):

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ ؟

مُسْتَسْلَسِلْ اسْتَبْدَاد

الْوَطْنَ اسْتَبْدَاد

وَالهجرة اسْتَبْدَاد

وَالصُّحُفُ الرِّسْمِيَّةُ اسْتَبْدَاد

وَالشَّرْطَةُ السَّرِيَّةُ اسْتَبْدَاد

وَالزَّوْجَةُ اسْتَبْدَاد..

وَعَشَقْنَا لَامْرَأَةً جَمِيلَةً جَدًّا

هُوَ اسْتَبْدَاد!!

نجد الشاعر "نزار قباني" يلح على تصدير مقاطعه الشعرية بالتساؤل في هذه القصيدة، بل وبذات السؤال، ولعل هذا يمثل العنصر الآخر من عناصر جماليات السؤال في شعر "نزار قباني" في هذه القصيدة، أو ما يمكن أن نسميه "التكرار الاستفهامي"؛ وهي ظاهرة أكثر ما يتم تناولها في دراسات الأسلوب لدى المبدع، وهي عند "نزار" ظاهرة لغوية عامة كان للاستفهام منها نصيب وافر.

وبالنظر إلى تجليات الاستفهام في تكراراته المثيرة هذه يمكن الكشف عن لجوء "نزار قباني" إلى هذا النمط اللغوي لأسباب عديدة، في نظر المؤول، منها أن اتساع الرؤية يؤدي إلى ضيق العبارة كما يقولون، "فنزار" يعبر بذلك عن وقوعه في دائرة لغوية سيطرت عليه من جانب، فراح يدور في محورها "مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ ؟"، وكأنني به يعلن

عبثية اللغة ولا جدوى البحث في خياراتها، إذا كانت تلك الخيارات عاجزة عن أداء كل هذا الكم من الرفض والاحتجاج.

ومع أن هذه القراءة تشي بموقف سلبي تجاه اللغة، فإنها في الآن نفسه تعلن موقفاً مغايراً تجاه عوالم الأسئلة وعوالم الاستفهام، فيصّب "نزار قباني" فيها ثقته، ويواجه من خلالها عجز اللغة وهشاشتها. ولا يخفى في سياق الحديث عن التكرار في الاستفهام أن صوت الأنا المحتجة الراضة يغدو أضخم بهذه التراكمات الاستفهامية، ومن جهة ثانية، ثمة أثر إيقاعي واضح في تكرارية المشهد الاستفهامي ربما يعكس تمسك الشاعر بالموقف ورفض التحلي عنه.

وتكرارية المشهد الاستفهامي أدت "نزار قباني" إلى نوع آخر من التكرار وهو تكرر الألفاظ، فتكرار لفظ "الاستبداد" هو إحالة "للون الأسود" الذي ذكره "نزار" في المقطع الأول، وتأكيد لحالة الحزن والأسى على ما آل إليه الوطن العربي من ظلم، وقهر، واستبداد، اضطهاد، وإساءة، وتسلط، وتعذيب، وطغيان، وغضب، ولو لم يكن له ذلك لكان تكراراً لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعري، وغرض "نزار" من ذلك هو فتح عين وعقل المتلقي على حقائق وأفكار تساعد في بناء الشخصيات، والجماعات بما ينعكس على تطور المجتمع إلى الأفضل (43)، فهو يبحث عن صحوه الضمير العربي (44).

فالتكرار في هذا الخطاب الشعري إحدى الأدوات الجمالية التي ساعدت "نزار" على تشكيل موقفه وتصويره، وهو إلحاح على جهة هامة من العبارة سواء في تكراره للاستفهام، أو "للون الأسود"، أو "للاستبداد"، فنزار قباني "يعتني بتكراره للسواد" أكثر من عنايته بغيره، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيمة، تفيد المتلقي الذي يقرأ، أو يسمع الخطاب؛ إذ يضع بين أيدينا مفتاح الفكرة التي ركز عليها "نزار قباني"، "قاللون الأسود" هو الفكرة المحورية التي قامت عليها كل القصيدة.

ولعل "نزار قباني" في هذه القصيدة لم يقتصر على ذكر "اللون الأسود" فحسب بل ذكر ما يحيل إليه من أوصاف لوصف ذات الحالة النفسية التي يعاني منها ويعيشها، أو ما يمكن أن نسميه رديف "اللون الأسود" ليدل على "السواد" يقول "نزار قباني" (45):

مَنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ ؟

وَكُلُّ طِفْلٍ عِنْدَنَا

تَجْرِي عَلَى ثِيَابِهِ دِمَاءٌ "كِرْبَلَاءُ" ..

وَالفَكْرُ فِي بِلَادِنَا أَرْخَصُ مِنْ حِذَاءِ

وَعَايَةُ الدُّنْيَا لَدَيْنَا:

الجنسُ .. والنساءُ ..

إن المنتبِع لظاهرة الاستفهام في شعر "نزار قباني" في هذه القصيدة، يجده يكرر ذات السؤال بل ويلح عليه كثيراً، وبالرغم من أن هناك تكرار لنفس السؤال لكننا نجد هذا التساؤل يحمل طاقة كبيرة في فتح النص حوارياً وشعرياً، فضلاً عما يحمله من أثر جمالي في المتلقي، وهو ما تعبر عنه القراءة البلاغية "بالأغراض"، أي: المعاني التي يضيفها أسلوب الاستفهام إلى تركيب الجملة من حيث دلالتها، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على الثراء المعنوي لهذا الأسلوب اللغوي، والطاقة الدلالية الكبيرة، وإمكاناتها في إحداث تحولات جمالية قادرة على إحداث ما يسمى "بأفق التوقع" لدى المتلقي، ومغادرة ظاهر البناء اللغوي إلى بواطنه وإيحائه وظلاله، ولعل تكرار الاستفهام في القصيدة يعد توظيفاً جمالياً عبّر به "نزار قباني" عن قلقه الشعري المفعم بالحزن، والأسى، والحيرة.

في هذا المقطع يوحي "نزار قباني" إلى "اللون الأسود" بذكر "وقعة كربلاء" (46)، فالدلالة هنا أخذت بعدا روحيا لافتترانها "بوقعة كربلاء"، التي إذا ذكرت ذكر معها الحزن والبكاء، وكان لمشاعر الظلم والحزن التي أصابت نفوس المسلمين بعد "حادثة كربلاء" أثرها البالغ في المجتمع، ولعل رمز "كربلاء" عند "نزار قباني" لم يقتصر على دلالة السواد، والحزن، والظلم، بل تعداه ليعني الثورة، والحرية، التي كان ينادي بها "الإمام الحسين" "رضي الله عنه"، من خلال "دماء كربلاء" التي تجري على ثياب الأطفال كما قال في القصيدة.

زد على ذلك فتوظيف رمز "كربلاء" في هذه القصيدة له بعد دلالي آخر مرتبط بنكسة 1969 م، ولعل هذا يتمثل في أصل تسمية "كربلاء" كما ورد على لسان "الإمام الحسين" "رضي الله عنه" عندما سأل عن اسمها في تلك الوقعة، فقالوا له: "كربلاء، فقال: كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع حتى استشهد "رضي الله عنه" (47)، ولعل هذا ما حصل للدول العربية في النكسة فهي "كرب وبلاء" على العالم العربي.

ولعل إحياءات اللون الأسود تتكرر كثيرا في القصيدة، يقول "نزار قباني" (48):

يُدْهَشْنِي..

بِأَنَّ كُلَّ امْرَأَةٍ فِي وَطَنِي

تَلْبَسُ فِي زَفَافِهَا

مَلَابِسَ الْحَدَادِ..

يلجأ "نزار قباني" في هذا المقطع إلى أسلوب المفارقة في إحياءه "لون الأسود"؛ إذ استبدل ملابس العروس البيضاء بملابس الحداد السوداء، وهذا كله للدلالة على شدة الأسى والحزن، "نزار قباني" لجأ إلى هذا الأسلوب لأنه قائم على أساس أن ما نسلم به وما نقبله هو أمر لا يجب أن نسلم به من وجهة نظر موضوعية، فالمفارقة هنا تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في واقعة الاختلاف، فَلَونَ "نزار" ملابس العروس البيضاء باللون الأسود.

فمناطق الإبداع الأدبي عند "نزار قباني" تبدو أكثر فاعلية في إنكاء روح الشعرية والجمال في رحاب النص، تلك التي تحفل فيها اللغة بالالتقاء بين الأضداد "بين الأسود والأبيض"، والالتئام بين النقاوض "بين ملابس الفرح وملابس الحزن والحداد"، فتعمل كما يقول "عبد القاهر الجرجاني": "عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبيها في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجهاد، ويريك التمام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، ويجعل الشيء من جهة ماء، ومن أخرى نارا" (49)، وبذلك تجعلنا اللغة الأدبية الشعرية في هذا المقطع، أمام بناء متكامل لظاهرة موجّهة للحركة الدلالية في الخطاب الإبداعي، ومفجرة للجمال في أن واحد.

يقول "نزار قباني" (50):

مَلْ هَذِهِ جَرَائِدُ نَقْرَؤِهَا ؟

أَمْ أَنَهَا جَنَازَةٌ

وَدَعْوَةٌ لِلْحُزْنِ وَالْحَدَادِ ؟؟

يعود نزار قباني في هذا المقطع إلى أسلوب التكرار، فهو في هذا المقطع يوحي إلى "اللون الأسود" أو "السوداوية" التي لونت المجتمع العربي، بالألفاظ: "جَنَازَةٌ، الحُزْنِ، وَالْحَدَادِ"، والتكرار هذه الألفاظ وبخاصة لفظ "الحداد" لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق، وإنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي؛ وبذلك يعكس جانبا من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار الذي يحمل في ثناياه

دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق، والتكرار هنا عند "نزار قباني" يمثل إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد على فهم مشهد، صورة، أو موقف ما، وهو هنا الوضع الذي يعانيه المجتمع العربي من الحسرة، والحزن، والخوف من المستقبل، والصمت، والانغلاق، والحسم، والظلام، والخطيئة، وانقطاع الأمل، والموت، والمصائب، والحداد، والهزيمة، يقول "نزار قباني" (51):

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ ؟  
أَطْفَالُنَا مَا شَاهَدُوا فِي عُمْرِهِمْ  
قَوْسَ قَرْحٍ ..

يخرج "نزار قباني" من أساليب التكرار والايحاء، إلى وعي المتلقي وإدراكه؛ باعتبار أن العمل الأدبي هو حلقة تواصل بين "الكاتب" و"القارئ"، أو المتلقي، وقيامه على عناصر الاتصال المتمثلة في "المرسل"، و"المتلقي"، و"الرسالة"، "المتلقي" هو الذي يقوم بإنتاج دلالة الرسالة، والتي تستدعي حضورا واعيا ومميزا له.

يقول "نزار قباني" في هذا المقطع:

أَطْفَالُنَا مَا شَاهَدُوا فِي عُمْرِهِمْ  
قَوْسَ قَرْحٍ ..

يحيلك قول "نزار" هذا أن هؤلاء الأطفال ما عرفوا سوى "اللون الأسود"، ولم يعرفوا ألوان الطيف الأخرى، "اللون الأسود" ليس من ألوان قوس قزح؛ بل حتى لو مزجنا ألوان قوس قزح لأعطينا "اللون الأبيض" لا "اللون الأسود"، ولعل هذا من أجود وأجمل الدلالات التي تحيل وتوحي إلى معاني السواد في أعين هؤلاء الأطفال.

فالمتلقي هنا بالتأكيد ليس أي متلقي، "نزار قباني" يريد لرسالته أن تصل، لكنه في الوقت نفسه لا يريد لها أن تصل لكافة المتلقين بدليل إحاطته إياها بنوع من اللامباشرة والسردية وجعله إياها تحوم حول المعنى المقصود دون أن تبرزه جليا، بحيث يستطيع الوقوف عليها كل من يتلقاها، إذا فقارئ هذه المقاطع الشعرية "نزار قباني" هو ذلك القارئ الذكي اللماح الذي يهديه طبعه الحساس إلى ذلك الخيط الذي يدعه له، فيمسكه ويتبع مساره، حتى يقوده إلى رفض المعنى السطحي، والبحث في أعماق الخطاب للوصول إلى هدف "نزار قباني"، وهكذا يتميز هذا القارئ بقدرته على ولوج النصوص واستكشاف خباياها.

وبهذا يمكن أن نعد المتلقي الذي أشار إليه ضمنا "نزار قباني" شريكا أساسيا في صنع الخطاب والمشاركة فيه عبر الرفض والتمرد على هذا الوضع المأسوي والسوداوي، يقول "نزار قباني" (52):

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ ؟  
وَنَحْنُ مِنْ يَوْمٍ خَرَجْنَا مِنْ "فَلَسْطِين"  
وَمِنْ ذَاكِرَةِ اللَّيْمُونِ، وَالْخَوْخِ،  
تَحَوَّلْنَا إِلَى رَمَادٍ ..

يعود "نزار قباني" إلى قضية تكرار السؤال؛ إذ يعاود "نزار" هذا التساؤل في بداية المقاطع الشعرية، لكن مع تكرار هذا المقطع أو هذا التساؤل يضيف "نزار قباني" رؤية جديدة متصلة بموضوع القصيدة دون الخروج عن فكرتها الأساسية، ولعله هنا يتحدث عن انشغاله بقضايا الوطن العربي التي أخذت من شعره مكانا خاصا، وقد استحوذت قضية الشعب الفلسطيني على قدر كبير من اهتمامه، فعبر "نزار" في هذا المقطع عن موقفه تجاه محنة الشعب الفلسطيني، ومن كفاحه لاسترداد حقه المغتصب (53)، ويأمل في عودة الألوان إلى الشعب الفلسطيني وأطفال الشعب الفلسطيني بذكره "اللَّيْمُونِ، وَالْخَوْخِ" (54)، لكنه في الأخير يلج على اللون الأسود "تَحَوَّلْنَا إِلَى رَمَادٍ.."، فمن البديهي أن يحيلك "الرماد" إلى "اللون الأسود"، لكن كذلك يحيل الرماد إلى الفناء، والموت، واللاشيء، والظلام، والخوف، والهزيمة.



برغم من أن جوهرية الشاعر أو الأديب أو الكاتب عامة هي الاتجاه بالمجتمع لبناء مستقبل أفضل للشعوب، فالشعراء والأدباء هم مهندسو النفس البشرية، ولذلك لا بد لهم من رؤية مستقبلية واضحة لما يجب أن يكون، وبهذا يأتي التفاوض في هذا الشعر أو هذا الأدب الذي يؤمن بانتصار الإرادة الجماهيرية التي تتجه دوماً في طريق الخير والحق وتتمكن من إعادة بناء المجتمع من جديد، فبتلك النظرة السوداوية للحال العربية التي صورها "تزار قباني" في هذه القصيدة إلا أننا نلمس في عمق هذه القصيدة دعوة إلى التجديد، دعوة إلى التغيير، دعوة إلى التمرد ضد الظلم والقهر والاستبداد، دعوة لغد أفضل، دعوة لألوان الحياة والطيف، ودعوة لخلع لباس الحزن والأسى والحداد. ومما نخلص إليه في الأخير

أن "تزار قباني" رجل وحدة، يقول بوحدة الوطن العربي، وشعوبه، ويرفض التفارقة، رغم بعده عن الأنظمة السياسية، وهذا لا يتنافى مع رسالة الشاعر، رغم سوداوية الموقف الذي طبع على القصيدة بتكراره وإلحاحه على اللون الأسود، الذي أراد من وراءه وصف حال المجتمع العربي ما بعد النكسة وما آل إليه، إذ سعى للوصول إلى تغيير هذه الحالة السوداوية، فتكرار اللون الأسود لابد أن يكون له أثر على نفسية "تزار"، ففي هذه القصيدة، بل وفي هذا الديوان ككل "هوامش على الهوامش"، "فنزار" نظم قصائده ليسجل من خلالها خواطره على أعقاب نكسة 1967 م، وهزيمة 1991 م، اللذين كان لهما أثر كبير في نفسه أولاً كشاعر وثانياً كإنسان عربي أحس بالخيبة والمرارة.

#### هوامش:

- 1 - ورد مصطلح "لون" في القرآن عدة مرات منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تُسْرُ النَّاطِرِينَ ﴾ الآية: 69 من سورة البقرة، وقوله: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ الآية: 13 من سورة النحل، وقوله: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية: 69 من سورة النحل، وقوله أيضاً: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَسْمَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ الآية: 22 من سورة الروم، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ الآية: 27 و 28 من سورة فاطر، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَرَاهُ مُشْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الآية: 21 من سورة الزمر.
- 2 - إن استخدام الألوان في القرآن الكريم ورد على نوعين، فأحياناً يذكر اللون الصريح، كالأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، والأصفر مثلاً، وأحياناً لا يصرح بلفظه وإنما يستدل على وجود اللون من خلال الآيات حين تذكر الألفاظ: "كالصبح والليل، أو الظلمات والنور، أو الجنة والنار".
- 3 - يقول ابن منظور: "اللون كهيئة السواد والحمرة، ولونته فتلون، ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، والألوان: الضروب، واللون: النوع، وفلان متلون إذا كان لا يثبت على خلق واحد". ابن منظور، لسان العرب، ج 43، ص: 4106، مادة "لون"، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 4 - الزبيدي، تاج العروس، ج 36، ص: 131، مادة "لون"، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، مط، التراث العربي، الكويت، 1413 هج، 1993 م.
- 5 - يقول ابن فارس: "اللام والواو والنون كلمة واحدة، وهي سحنة الشيء من ذلك اللون: لون الشيء كالحمرة والسواد، ويقال: تلون فلان: اختلفت أخلاقه" ابن فارس، المقاييس في اللغة، ج 5، ص: 223 مادة "لون"، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 6 - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عبد الكريم خليفة، "الألوان في معجم العربية"، ص: 36 - 37، العدد 33، تموز كانون الأول "جوبلية"، السنة 11، 1987 م.
- 7 - أحياناً نجد ما يسمى بالمفارقة في الألوان، إذ تعد هذه المفارقة من أروع جماليات الدلالة، ذلك لما يتميز به اللون من دلالات جمالية تنعكس على نفسية الفرد؛ فاللون من أهم عناصر الجمال في حياتنا وفي العالم الذي يحيط بنا.
- 8 - صالح قاسم حسين، سيكولوجية إدراك اللون والشكل، ص: 108، دار الرشيد، بغداد، العراق، 1982 م.

- 9 - لم يرد ذكر هذا اللون سوى مرة واحدة في سورة فاطر، وذلك في سياق تقرير الكافرين الذين كذبوا رسلهم، وتذكيرهم بنعمة ربهم، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ الآية: 27 من سورة فاطر.
- 10 - جاء في المثل العربي: "الحسن أحمر"، الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص: 199، منشورات دار النصر، دمشق، سوريا. ويقصد به "الحسن شديد" مثل قولهم: "موت أحمر"، أما الثاني فيضرب في الاستشهاد على البغض، وبالتالي تؤدي الألوان دلالة مفارقة بعيدة ظاهريا عن الحاسة البصرية، فاللون الأحمر يؤدي في هذا المثل دلالة قوية بشدة الأمر "الحسن" وقوته، لتمييز هذا اللون، وبروزه وإثارته للحاسة البصرية.
- 11 - يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ الآية: 63 من سورة الحج.
- 12 - يقول تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الآية: 31 من سورة الكهف.
- 13 - يعتبر اللون الأصفر لونا مقدسا عند الصينيين والهنود، وكذا عند المسيحيين الأوربيين، ولارتباط اللون الأصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزا لإله الشمس "رع". ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص: 164، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 2، 1402 هج، 1982 م.
- 14 - ورد هذا اللون مرة واحدة في القرآن الكريم في سياق الحديث عن المتكبرين على دين الله، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْسُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ الآية: 102 من سورة طه.
- 15 - يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ الآية: 33 من سورة المرسلات. يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ صُفْرٌ ﴾ سود تضرب إلى الصفرة. الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص: 289، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مط، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1418 هج، 1998 م.
- 16 - من ذلك قول العرب في المثل: "هو أزرق العين"، الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص: 385، فاللون الأزرق في هذا المثل مقرون بالعدو، بحكم السمة الغالبة للون العيون العربية "الأسود"، ولون عيون الأعداء الغالب هو "الأزرق".
- 17 - ينظر: الجاحظ، الحيوان، ج 2، ص 300 301، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996 م.
- 18 - يولاند جاكوبي، علم النفس اليوناني، ص: 21، ترجمة ندره البازجي، مطبعة الأهالي، دمشق، سوريا، ط 1، 1993 م.
- 19 - مريم هاشم سليمان دراغمة، ألفاظ الألوان في اللغة "دراسة دلالية في علم اللغة الاجتماعي والنفسي، ص: 59، رسالة جامعية مخطوطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1999 م.
- 20 - مجلة جرش للبحوث والدراسات، موسى ربايعه، "جماليات اللون في شعر زهير"، ص: 11، مجلد 2، العدد 2، الأردن، 1998 م.
- 18 - طه المتوكل، دراسة في الثلاثاء الحمراء لإبراهيم طوقان "البحث عن شاعر آخر"، ص 117، بيت المقدس للنشر، ط 1، القدس، 2003 م
- 21 - عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص: 68، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 4، 1988 م. وتوظيف اللون في الصور الشعرية لا بد أن يكون عائدا إلى طبيعة الوقت والشعور والإحساس، فليس اختيار لون محدد عملية خالية من ارتباط بالموقف والشعور، وإنما هي عملية مؤسسة على أن اختيار اللون داخل في إطار الرؤية التي ينطلق منها الشاعر. ينظر: مجلة جرش للبحوث والدراسات، موسى ربايعه، "جماليات اللون في شعر زهير"، ص: 09.
- 22 - يوسف حسن نوفل، الصورة الشعرية والرمز اللوني، ص: 41، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 23 - نفسه، ص: 42، 43.
- 24 - ما يلاحظه القارئ لشعر "نزار" يجد أن التنوع اللوني لم يقتصر ذلك على الشعر فحسب بل إن كثيرا من عناوين قصائده تحمل ألفاظا لونية كقصيدة: "بالأحمر فقط"، و"أحمر الشفاه"، و"القميص الأبيض"، وقصيدة "العقدة الخضراء"، و"العين الخضراء"، و"إلى رداء أصفر"، و"إلى وشاح أحمر"، وقصيدة "رحلة في العيون الزرق"، وقصيدة "رباط العنق الأخضر"، وقصيدة "حبك طير أخضر"، وقصيدة "اللوؤ الأسود"، وقصيدة "الحب لا يقف على الضوء الأحمر"، وقصيدة "امحني الحب كي أصبح أخضر"، وقصيدة "زيتية العينين"، وقصيدة "الصفائر السود"، وقصيدة "افتراضات رمادية"، وغيرها من القصائد.
- 25 - شارل لالو، مبادئ علم الجمال، ص: 10، تح خليل شطا، دار دمشق للطباعة والصحافة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م.
- 26 - حسام الدين الخطيب، الأدب الأوربي تطوره ونشأته ومذهبه"، ص: 141، مكتبة أطلس، دمشق، سوريا، 1972 م.
- 27 - صلاح فضل، تحولات الشعرية العربية، ص: 35، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 2002 م.
- 28 - محي الدين صبحي، الكون الشعري عند "نزار قباني"، ص: 13، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1977 م.

- 29 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج6، ص:555، الكتاب السابع والعشرون "ديوان هوامش على الهوامش"، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، 1999 م.
- 30 - محمد عبد المطلب، البلاغة العربية "قراءة أخرى"، ص: 291، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 1997 م.
- 31 - موريس بلانشو، السؤال والجواب، ص: 14، ترجمة نعيمة بنعبد العالي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1419 هج، 1998 م.
- 32 - "يشير اللون فيزيائياً إلى فقدان اللون"، ينظر، فيليب سيرينج، الرموز في الفن "الأديان - الحياة"، ص: 420 ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، سوريا، ط 1، 1992 م.
- 33 - عبد الفتاح رياض، التكوين في الفنون التشكيلية، ص: 260، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط 2، 1983 م.
- 34 - أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص: 201.
- 35 - الثعالبي، فقه اللغة، ص: 120، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هج، 2001 م.
- 36 - حبيبة محمدي، القصيدة السياسية في شعر نزار قباني، ص: 31، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1999 م.
- 37 - نشر هذا الديوان سنة 1991 م.
- 38 - حرب 1967 م، وتُعرف أيضاً باسم "نكسة حزيران"، وتسمى كذلك "حرب الأيام الستة"، وهي الحرب التي نشبت بين "إسرائيل" وكل من "مصر"، و"سوريا"، و"الأردن"، من 5 إلى 10 جوان 1967 م، وأدت إلى احتلال "إسرائيل" "سيناء" و"قطاع غزة" و"الضفة الغربية" و"الجلولان". ينظر: حسين شريف، الحروب التوسعية الصهيونية، ج 2، ص: 414 وما بعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 1، 1996 م. وقد نظم "نزار" بعد هذه النكسة قصيدة "هوامش على دفتر النكسة" 1967 م، والذي كان السبب وراء منعه من دخول "مصر"، ومنع بث أشعاره التي كتبها، والذي تحدث فيها عن مأساة النكسة، وخيانة الوطن والتي كانت تعبر عن مشاعره بعد النكسة.
- 39 - وهي هزيمة العراق عام 1991 م في ما يسمى بحرب تحرير الكويت، وسقوط النظام السياسي في العراق. ينظر: إبراهيم، أبو خزام، أزمات الدول، ص: 58، 59، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر. وقد نظم "نزار" بعد هذه الهزيمة قصيدة "هوامش على دفتر الهزيمة" 1991 م
- 40 - عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 176، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر.
- 41 - لعل التوافق بين المتناقضين في الألوان وبخاصة بين اللون الأبيض والأسود يكثر في شعر "نزار"، إذ يحاول دائماً التوفيق والمصالحة بينهما حيث يوظفهما لغاية واحدة، يقول نزار في "اليوميات":

عَنْ الزَّنْزَانَةِ الْكُبْرَى  
وَعَنْ جُدْرَانِهَا السُّودِ  
وَعَنْ آلاَفِ آلاَفِ الشَّهِيدَاتِ  
دَفِنَ بِغَيْرِ أَسْمَاءٍ بِمَقْبَرَةِ التَّقَالِيدِ  
صَدِيقَاتِي

دُمِيَ مَلْفُوفَةً بِالْقَطْنِ  
دَاخِلَ مَتَحَفٍ مُغْلَقِ  
نُفُودٌ... صَكَّهَا النَّارِخُ، لَا تَهْدَى وَلَا تَنْفَقُ  
مَجَامِيعٌ مِنَ الْأَسْمَاكِ فِي أَحْوَاضِهَا تُخَنَّقُ  
وَأَوْعِيَّةٌ مِنَ الْبِلُورِ مَاتَ فَرَاشُهَا الْأَرْزَقُ....

نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص: 618، 619، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان.

ما نلمسه مثلاً في هذا المقطع اختفاء الفرق بين اللونين تدريجياً، بحيث أصبح اللونان في صبغة واحدة يجدان الإحساس والشعور نفسيهما حيث جسد الأسود بالسجن، وأضفى عليه كل ما هو سلبي، ويسبب الإحباط والخوف، يطل علينا اللون الأبيض من خلال دلالة القطن، حيث صالح الشاعر بين اللونين واللون الأزرق، لغاية واحدة حيث احتل اللون الأبيض والأرزق صبغة السواد الدالة على السجن والخوف، كأن الشاعر أردف الألوان المتناقضة لكي يثير نفسية القارئ لذات المصير المشترك؛ سواء كان بالأبيض أو الأسود أو الأزرق.

42 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج6، ص:556.

43 - يقول نزار قباني في قصيدة "هوامش على دفتر النكسة" 1967 م من ديوان "هوامش على الهوامش":

نُرِيدُ جَيْلاً غَاضِيًا  
نُرِيدُ جَيْلاً يَفْتَحُ الْآفَاقَ  
وَيَنْكُشُ التَّارِيخَ مِنْ جُدُورِهِ

وَيَكْشُ الْفَكْرَ مِنَ الْأَعْمَاقِ  
نُرِيدُ جَيْلًا قَادِمًا مُخْتَلِفَ الْمَلَامِحِ  
لَا يَغْفِرُ الْأَخْطَاءَ، لَا يُسَامِحُ  
لَا يَنْحَنِي، لَا يَعْرِفُ النِّفَاقَ  
نُرِيدُ جَيْلًا...رَأْتِدَا...عَمَلًا

نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 495.

44 - يرى "نزار قباني" في العديد من قصائده أن مسألة "صحوة الضمير العربي" ضرب من الخيال وجسدها من خلال خطابه لعل من أبرزها آخر قصائده التي عنوانها "متى يعلنون وفاة العرب"، فمن خلال هذه القصائد نجده يكتب لمجرد الإفصاح، أو كما عبر هو لمجر البوح لا أكثر، يقول نزار في "اليوميات":

سَأَكْتُبُ لَا يُهِمُّ لِمَنْ ...  
سَأَكْتُبُ هَذِهِ الْأَسْطُرُ  
فَحَسْبِي أَنْ أَبُوحَ هُنَا  
لِوَجْهِ الْبُوحِ لَا أَكْتَرُ  
حُرُوفًا لَا مَبَالِيَةً  
أُبَعَثُهَا... عَلَى دَفْتَرٍ...

بِلَا أَمَلٍ بِأَنْ تَبْقَى  
بِلَا أَمَلٍ بِأَنْ تَنْشُرَ  
لَعَلَّ الرِّيحَ تَحْمِلُهَا  
فَتَزْرَعُ فِي تَنْقَلِهَا  
هُنَا حَرْبًا مِنَ الزَّرْعَتَرِ  
هُنَا كَرَمًا، هُنَا بَيْدَرِ

هُنَا شَمْسًا، وَصَيْفًا رَائِعًا أَخْضَرَ  
حُرُوفًا سَوْفَ أَفْرَطُهَا كَقَلْبِ الْخَوْخَةِ الْأَحْمَرِ

نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص: 584

45 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج 6، ص: 557.

46 - "معركة كربلاء" وتسمى أيضاً "واقعة الطف" هي ملحمة وقعت على ثلاثة أيام وختمت في 10 محرم سنة 61 هج وكانت بين "الحسين بن علي بن أبي طالب"، وجيش تابع "ليزيد بن معاوية". ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص: 407 وما بعدها، تح أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1407 هج، 1987 م.

47 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص: 445، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 هج، 1977 م.

48 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج 6، ص: 560.

49 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 132، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة المملكة العربية السعودية.

50 - نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج 6، ص: 562.

51 - نفسه، ج 6، ص: 565.

52 - نفسه، ج 6، ص: 566.

53 - ورفض "نزار قباني" في العديد من قصائده محاولات السلام، وعمليات السلام في "أوسلو" وجسدها في قصيدته "المهرولون"، ليمتد شعر "نزار" للمقاومة في "جنوب لبنان" وقد تجلى هذا في قصيدته "سميتك الجنوب"، زد على ذلك وقوف "نزار قباني" مع الشعب العراقي في محنة المتولية وسواهما من الشعوب العربية الأخرى.

54 - ارتبطت الفاكهة في القرآن الكريم بالألوان في عدة مواضع يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ الآية: 27 من سورة فاطر، ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتِرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَشَابِهِ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية: 99 من سورة الأنعام، وغيرها من الآيات.